ثم ماذا بعد ذلك

عندما حضر سفيري في انجلترا الى مجلسي قرب قصر العزيزية في طرابلس، وكان ذلك يوم ميلادي، الموافق ٧ حزيران من كل عام، حسب التوقيت الغربي الذي امقته، كان يجتمع حولي ثلة من رجال الخيمة والمعاونين وبعض سفراء الجماهيرية الليبية في دول العالم، حضر ابن عمي احمد قذاف الدم ومعه السفير الليبي في لندن.

قيل لي ان هذه اللوحة تمثلني، وأنها رسمت خصيصاً من أجلي كإهداء من مدينة القدس، القدس قضية العرب الاولى، وانا حامي حمى هذه الامة اللعينة.

لوحة جميلة فعلاً وهي تمثل رجلاً صلباً ويقف بشموخ حاملا القدس على ظهره، أيشبهني هذا الشيخ؟ ام يشبه شيخ المجاهدين عمر المختار الله اعلم، فانا أصغر سناً منه بالتأكيد، ولن اضع لفحة حمراء تمثل الشيوعية على كتفي، لو انها كانت خضراء لوضعتها في صدر الخيمة.

قرأ السفير على مسامع الجميع الاهداء المكتوب بخط اليد على خلفية اللوحة وأضاف، هذه هدية عيد ميلادك اطال الله في عمرك أيها الاخ العقيد.

كانت هذه من المرات القليلة التي أحظى بها بصورة مرسومة لأي شيء كهدية ففي الحقيقة انا لا أحب الفن، لدي من الهدايا العاج، والسيوف المذهبة والقصب، لدي مصحف من مكة المكرمة، ولدي تاج مرصعاً بالماس اهدتني إياه جيبوتي الفقيرة، لدي تماثيل لطيور الاوز ورأس نمر محنط، لدي عدد لا بأس به من النظارات الشمسية من أفضل ما صمم الناس ولدي نسخة من الكتاب الأخضر مطبوعة بأحرف بريل ليدرسه الاعمى.

فانا الذي نظر الاعمى الى ادبه واسمعت كلماتي من به صمم. لا ضير

فالمتنبي شاعر جيد.

لا اذكر اين شاهدت اللوحة بعد ذلك في قصري، ربما في أحد الممرات لكنها لم توضع ابدا في صالة عامه.

ها هي طائرة سمتيه، هليكوبتر، تحط رحالها على الأرض وتنشر الغبار في المهبط، ها هم رجالي الاوفياء حولي وها هن حارساتي الشخصيات يتأهبن لاستقبال ركاب الطائرة القادمة من طبرق، يتأهبن لحمايتي حتى من الأصدقاء، فحساسية النساء عالية للخطر ووفائهن لا نظير له عند الرجال مهما علا شأنهم، لم تخذلني حارسة قط وانا لا اتلقى منهن الحماية فقط بل اتلقى اللطف والحنان والعاطفة، وهذا ما يحتاجه الانسان حتى لو كان زعيما بحجمي.

كانت القبائل في طبرق قد انتدبت من شيوخها رهطًا لتهنئتي، وقد شربنا القهوة معا وتناولوا حبات من التمر قبل ان استمع لمدحهم وعطاياهم دون ان يطلبوا شيئاً، يا إلهي كم اشعر بالامتنان لهذا الشعب الذي يرعى قائده كفرد منهم. شعب لا يشكو شيئاً.

في الايام العادية كنت اترك نفسي، إذا لم يكن هناك وفود واجتماعات، أمهر توقيعي على بعض الاوراق في الصباح بعد ان احتسي حليب النوق، وأوشر على أخرى واترك البعض لما بعد القيلولة، وكما قال مرة إحسان عبد القدوس، الراحة الحقيقية هي أن ترتاح من نفسك.

أن تجد ما يشغلك عنها! أحب ان يكون هناك ملخص، وأحب ان استمع لاحد ما يهمس في اذني ناصحاً، او مفسراً امرا ما لا أعرفه تمام المعرفة، كنت استمع للنصيحة بصمت من يعرف ومن يثق برجاله حوله، كنت أرى في البعض منهم معمر القذافي بشحمه ولحمه ولكن بنسخ مكررة ينقصها شيء لا اعرف ما هو، حس الزعامة ربما، اهي الطاعة العمياء التي تسيل من جنباتهم وهي التي تزيد من حاجتي.

كان البدوي في دائما يشغلني ويحاورني واحسه ممدداً في روحي كظلي او كشخصية ثانية افاوضها على النسيان وما ان أنسى قليلاً حتى يذكرني من

حولي ببداوتي لدرجة أحس معها ان قافلة من الجمال تسير في صحراء دمي، كنت أعتز بهذا البدوي تارة ولا أخفيه وتارة اريد فقط ان أخفيه، وكأن مشروعي في الحياة هي تجاوزه ، والطريف انه كان يصحبني في الرحلات الخارجية اكثر من حضوره معي في البلاد التي اعرفها ، كنت اراه مرات ينتظرني في بيوت وقصور الزعماء الذين قابلتهم وكان علي ان اعقد هذا الصلح التاريخي معه حتى لا يفضحني او أفضحه، أصحبه معي بدل ان يسبقني وننسق الخطوات على السجادة الحمراء في روما على وجه التحديد ونتفق انه مهما طال تمدد السجاد فان الصحراء ورمالها هي الحقيقة الكبرى ، فلماذا لا أعتز به وبالخيمة ؟

أنا ابن مدينة سرت، مركب ليبي بدوي وافريقي، عربي وبشرتي ليست سمراء ولا أنا أشقر، واسلامي لا تشوبه شائبة ونظامي الذي ابتكرته تجاربي وعبقريتي وشجاعتي مناسبة لهذا المزيج، ولهذا العصر واستطيع ان اصرخ دائما في وجه الاخرين ويحكم ، كلكم عيوب وانا من يعرف سر ضعفكم ، لكنني قوي في عيوبي اكثر منكم ، أقول في سري انا معمر القذافي ، انا الصحراء وامتدادها ، انا البدوي نعم وما أنت أيها الامبريالي الا داعراً ومتكبراً مر على التاريخ مرور الورقة الجافة في يوم عاصفة .

أنا قوي وملك ملوك افريقيا وقائد الامة العربية بعد جمال عبد الناصر إذا لم أكن ربما قبله، وسر قوتي هو ضعفكم المريب وانني أستطيع ان اسخر منكم واحداً واحداً ليس بسبب النفط الليبي الغزير فقط وانما بسبب حاجاتكم، بعد وصولي الى السلطة اول درس تعلمته ولا زال يرافقني، سخافة حكام وزعماء العالم برمته.